مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

الثورة التحريرية في منطقة تلمسان من الولاية الخامسة التاريخية

إبراهيم الهلالي
المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ
أستاذ مؤقت بقسم الفنون
جامعة تلمسان – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

تقودنا هذه الدراسة التاريخية، إلى معرفة الدور الذي قامت به منطقة تلمسان من الولاية الخامسة أثناء الثورة التحريرية الجزائرية، لاسيما وأن هذه المنطقة كانت كجل مناطق الوطن عامة والولاية الخامسة خاصة، التي لقيت فرنسا صعوبات كثيرة للسيطرة عليها، إذ تعتبر من الأسباب التي دفعتنا إلى البحث في هذا الموضوع هو عدم وجود دراسات مستقلة وعميقة، تمكننا من فهم ما جرى من أحداث في المنطقة الأولى، وبالتالي تسليط الضوء على معطيات جديدة بدل تلك المعطيات التي أصبحت معروفة لدى العام والخاص، ونقصد بذلك التاريخ الرّسمي الذي سايرناه منذ الاستقلال في مراحل أطوارنا الدراسية. لقد شهدت المنطقة الأولى من الولاية الخامسة الواقعة ضمن تلمسان نشاطًا ثوريًا كبيرًا تاريخًا يصعب جمعه كاملاً نظرًا لكثرة العمليات العسكرية من معارك واشتباكات وكمائن وهجومات وعمليات فدائية في المدن الكبرى والقرى المجاورة. اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، لدراسة فترة من فترات تاريخ الجزائر وتأريخها في الفترة الممتدة بين (١٩٥٤/١٩٦٢)، الغرض سرد ووصف الأرضية الممهدة لاندلاع الثورة الجزائرية، واستقراء أهم المعارك. يمكننا القول إن جل المؤرخين حول المنطقة حاولوا أن يقدموا عملاً جليلاً، يكون في مستوى ثورة شعبهم العظيمة، وتُعَدّ شهاداتهم أيضًا وثيقة صادقة، ومصدرًا لكتابة تاريخ الثورة، كما تُعَدّ أداة للتصوير، تصور لنا جانبًا من المعارك الحامية الوطيس، والتاريخ يبقى الشاهد الأكبر على شدة مقاومة أهالي المنطقة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٥ أبريل ٢٠٢٠
تاريخ قبـول النشـر: ٢٣ مايو ٢٠٢٠

كلمات مفتاحية:

الثورة؛ تلمسان؛ المنطقة الأولى؛ الولاية الخامسة؛ المعارك

معرِّف الوثيقة الرقمي:

DOI 10.21608/KAN.2020.168236

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

إبراهيم الهلالي. "الثورة التحريرية في منطقة تلمسان من الولاية الخامسة التاريخية".- دورية كان التاريخية.- السنة الثالثة عشرة- العدد الثامن والأربعون؛ يونيو ٢٠٢٠. ص ١٤٥ – ١٥٢.

Corresponding author: brahimhelali83@gmail.com
Official website: http://www.kanhistorique.org
Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَورِيةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

لقد شكلت الثورة التحريرية موقفًا حاسمًا في نفسية الشعب الجزائري، كما كانت أيضًا بمثابة تحول كبير مس كل جوانب التفكير والفهم والتحليل لقضية الاستعمار، من طرف العدو الفرنسي فكانت ثورة الشعب الجزائري واضحة على مختلف المستويات، وبصور وأشكال عديدة تهدف كلها إلى تحرير البلاد من استغلال وبطش ودمار هذا المستعمر فتكاثفت كل الجهود وزالت جل العقبات الجنسية والجغرافية.

ساهمت جميع الولايات الجزائرية بمختلف طبقاتها الاجتماعية في الثورة الجزائرية، بما فيها منطقة تلمسان بالغرب الجزائري، التي تعتبر من بين الفئات الآخذة على عاتقها احتضان الثورة التحريرية منذ بدايتها، والتخلص من ويلات الاستعمار الفرنسي الذي عانت منه مدة طويلة من الزمن، لاسترجاعه أرضه التي سلبت منه، من هذا المنطلق حاولت الإجابة على الإشكالية التالية: إن استكشاف الثورة التحريرية، ولا سيما الثورة بمنطقة تلمسان، كان بالنسبة لي دافعًا أنار لي الطريق لطرح عدة تساؤلات أولية أنتجت إشكالية بحثية وضعت داخل نسق مساءلة الذاكرة الثورية: هل كانت منظومة النصوص التاريخية الصانعة للحظة وثيقة تاريخية يعتمد عليها في التأريخ للصيرورة الزمنية للأحداث الثورية داخل فضاء جغرافية تلمسان (المنطقة الأولى) من الولاية الخامسة؟ واندرجت تحت هذه الإشكالية عدة أسئلة من بينها:

١/ كيف ساهمت المنطقة الأولى (تلمسان) في تفجير الثورة التحريرية؟

٢/ كيف ساير المؤرخون أحداث الثورة، وانعكاساتها على المنطقة؟

حاولت في هذه الدراسة وذلك بالوقوف عند المحطات التالية:

- التعرف على اغلب النواحي الأربعة للمنطقة الأولى من الولاية الخامسة التاريخية.
- العمليات العسكرية وأهم المعارك الكبرى بالمنطقة الأولى من الولاية الخامسة.
- سياسة فرنسا لقمع الثورة بالمنطقة الأولى.

أولاً: الولاية الخامسة التاريخية

تُعَدّ الكتابة التاريخية قيد وشرط، فهي مضبوطة بمقاييس علمية تكون ثرية بثراء المادة العلمية من تنوع مصادرها ومراجعها يقتضي البحث.[١] والحق أن فلسفة التاريخ بمعنى البحث عن العلل والأسباب، فقد أشار إلى ذلك ابن خلدون إشارة لها مغزى دون أن يستخدم المصطلح نفسه، عندما يميز بين الظاهر والباطن في التاريخ فبقوله: "ففي ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول السوابق من القرون وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق".[٢]

وهذا يعني أن فلسفة التاريخ لا تتجاوز السرد والحشد لأخبار لا رابطة بينها، وأنها تقوم على التعليل على أن الغرض من القول: أنه لا تاريخ بدون تعليل، والعقلي والمنطقي هو أن يتجنب الباحث نسبة الواقعة التاريخية إلى الصدفة وحدها، بل عليه أن يبحث في ظروف الواقعة بحثًا علميًا سليمًا، فالمؤرخ يستطيع أن يفسر لنا قيام الحرب أو اغتيال شخصية تاريخية ليس بالصدفة ولكن بأسباب عقلية منطقية مقنعة.[٣]

إن القضية الجزائرية هي دراما سببت الكثير من الدماء، وما أعز تلك الدماء وسببت الكثير من الدموع وما أسخن تلك الدموع، ولقد بدأت هذه الدراما منذ ١٢٧ عامًا، وأن مسرح هذه الدراما بكل نواحيها هو في الجزائر، في مدنها وقراها، في جبالها ووديانها، في صحرائها وشواطئها وفي غاباتها ومروجها، وان أشخاص هذه الدراما ليسوا أفرادًا أو جماعات، ولكنهم شعب بكامله، برجاله ونسائه في الحواضر والبوادي، وليست في هذه الدراما مجازات واستعارات، ولكنها في القاذفات والمقاتلات والدبابات، وهي دراما تقرأ في عيون الأيتام وحسرات الأرامل وزفرات الثكالى، وآلام الأجيال.[٤]

ما جعل توجه الدراسات الحديثة نحو المزيد من الاهتمام بدراسة التاريخ المحلي لمنطقة من مناطق البلاد، بغية إبراز مميزاتها ومساهمتها في الحركية التاريخية الشاملة، لأن تغطية تاريخنا الوطني ودراسته دراسة عميقة، يحتم علينا الرجوع إلى تاريخنا المحلي إنّ البحث في تاريخ المنطقة الأولى من الولاية الخامسة يدخل ضمن هذا السياق لمعرفة مدى مساهمتها في مقاومة الاحتلال الفرنسي مثلها مثل بقية المناطق الأخرى من البلاد، أن هذه الدراسة جديرة بالاهتمام حتى لا يبقى تاريخنا حكرًا على أصحاب المدرسة الفرنسية.

إنّ منهج التاريخ المحلي يُعَدّ من المسالك البحثية الصعبة، نظرًا لندرة الوثائق وقلة المصادر الأرشيفية التي مازالت عرضة للإهمال والتلف والتي تلقى اهتماما من طرف الباحثين.[٥]

إذا كانت المنطقة الخامسة التي ستتحول على ضوء مقررات مؤتمر الصومام عام ١٩٥٦ إلى الولاية الخامسة، وهي أكبر

الولايات في الثورة مساحة، فإن ذلك لم يكن في الواقع ليسمح بالتنظيم والهيكلة اللازمتين أمام الحشد القوي للاستعمار وقبيل اندلاع الثورة تمّ تقسيم المنطقة الخامسة جغرافيا إلى أقسام، مع تداخل كبير فيما بينها، وجاء التقسيم من شهر نوفمبر ١٩٥٤ إلى شهر جويلية ١٩٥٥، كما تمّ تعيين قادة المناطق من خلال التقسيم التالي:

أ) من الحدود المغربية (مرسى بن مهيدي) إلى الرمشي: **محمد فرطاس**، المسؤول العسكري.

ب) من الرمشي إلى حاسي الغلة: **واضح بن عودة**.

ج) من حاسي الغلة إلى وهران: **الحاج بن علا**.

د) ومن سيق إلى المحمدية، سيدي بلعباس: **أحمد زبانة**.

ه) من مستغانم إلى الظهرة: **ابن عبد المالك رمضان**.[٦]

ومن شهر جويلية ١٩٥٥ إلى ما قبل شهر أوت ١٩٥٦ خضعت المنطقة الأولى إلى تقسيم جديد:

١) الغزوات، مرسى بن مهيدي (بورصاي)، فلاوسن إلى الحدود المغربية.

٢) سيدي وشع، هنين، سوق الأربعاء.

٣) سيدي سفيان، سوق الخميس، عريمة.

٤) الحدود المغربية، بني واسين، بني بوسعيد، بني سنوس، أولاد نهار.

٥) حمام بوغرارة، بني بهدل، الوريط، سيدي العبدلي، بن سكران.

٦) سبدو، أولاد ميمون، سيدي السنوسي إلى شمال سيدي بلعباس.

٧) سعيدة.

٨) المشرية، عين الصفراء، بشار، تندوف، أدرار.[٧]

ومن الناحية التنظيمية قسمت المنطقة الخامسة إلى نواحي وأقسام، وأعراش وفروع وأفواج وخلايا وبعد مؤتمر الصومام المنعقد في ٢٠ أوت ١٩٥٦، أصبحت المنطقة الخامسة ولاية بثمان مناطق جاءت كالتالي:

المنطقة الأولى: تلمسان ومغنية.

المنطقة الثانية: الغزوات، بني صاف.

المنطقة الثالثة: وهران، عين تيموشنت وضواحيها.

المنطقة الرابعة: مستغانم، غليزان.

المنطقة الخامسة: سيدي بلعباس.

المنطقة السادسة: معسكر وسعيدة.

المنطقة السابعة: تيارت، السوقر.

المنطقة الثامنة: عين الصفراء، البيض، بشار، تندوف، أدرار.[٨]

ثانيًا: المنطقة الأولى من الولاية الخامسة

كانت هي نفسها مقسمة إلى أربع نواح، كل واحدة منها يسيرها ملازم ثان، بمساعدة ملازمين أوائل: المحافظ السياسي والمسؤول عن الاستعلامات والاتصالات والمسؤول العسكري، وكانت الناحية الأولى تشتمل على بني سنوس وأولاد نهار وأولاد ورياش مع سبدو، والناحية الثانية لمغنية كانت تشتمل على بني واسين وبني بوسعيد والناحية الثالثة كانت تمتد إلى منطقة صبرة وبوحلو مع أولاد رياح وبني مستار، وأخيرا ناحية تلمسان كانت تمتد من واد الزيتون إلى جسر يسر وأولاد ميمون وتيرني وبني هديل، فالناحية الأولى كانت مسيرة من طرف الهواري[٩] (عبدون المختار)، والناحية الثانية من طرف بركاني محمد (مراد) والناحية الثالثة من طرف ابن زيان (أنقادي) وأخيرًا الناحية الرابعة فكانت مسيرة من طرف المزاري.[١٠]

لقد شهدت المنطقة الأولى من الولاية الخامسة الواقعة ضمن تلمسان ومغنية، نشاطًا ثوريًا كبيرًا تاريخًا يصعب جمعه كاملاً نظرًا لكثرة العمليات العسكرية من معارك واشتباكات وكمائن وهجومات وعمليات فدائية في المدن الكبرى والقرى المجاورة.[١١] التاريخ يرتبط بشكل مباشر بالإنسان والواقعة هنا تعني الأحداث التي من شأنها أن تثبت أمام الزمنية الكاسحة فيكون التاريخ هو هذه الأحداث المترسبة والآتية من أزمنة ماضية. يرتبط التاريخ بالإنسان ارتباط وثيقًا إلا أن هذا الارتباط يختلف من حيث تعبير هذا الأخير عن الشيء وعن العلم بالشيء إذ يمكن أن نقصد بالتاريخ، التاريخ العام أو الحاصل بمعنى الأحداث والوقائع في حدوثها الطبيعي والتاريخ المعلوم كما ينعته عبد الله العروي الذي يمثل إدراك الإنسان لهذه المجريات واستقصائها، ما يعطينا علم التاريخ.[١٢] يختص علم التاريخ بدراسة وتتبع الأحداث التي تميز حركية الإنسان في الزمن، ورصد مجرياتها وكلمة التميز ترد هنا بشكل مقصود، ذلك أن التاريخ لا يهتم إلا بالأحداث التي تترك حضورًا قويا، قادرًا على البقاء لما له من تأثير على مسار الإنسان ويكون عمل المؤرخ هو" تحقيق وسرد ما جرى فعلاً في الماضي".[١٣]

ثالثًا: الناحية الرابعة من المنطقة الأولى للولاية الخامسة (تلمسان)

عندما أشعلت جبهة التحرير الوطني قبيل الثورة، ليلة الفاتح من نوفمبر سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف فإنما فعلت ذلك لتجسيد إيديولوجية حزب الشعب الجزائري، لأجل ذلك

حددت تحركاتها الأولى في إطار توجهات متعددة، والهدف الأول هو هدف التوجه السياسي ويهدف إلى استرجاع السيادة المغتصبة عن طريق الكفاح المسلح الذي يجب أن يتحول إلى انتفاضة عامة تضعف الجيوش المعتدية، وتخرب الاقتصاد الاستعماري وتفرض جو الحرب الساخنة على فرنسا فتنقاد إلى تفاوض كما حدد نداء الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤.[١٤] أما البحث في تاريخ المنطقة الأولى، يدخل ضمن هذا السياق لمعرفة ما جرى بها من أحدث سياسية عسكرية وكفاح مسلح خلال المرحلة الاستعمارية، ويقودنا هذا البحث حتمًا على معرفة النشاط الثوري الذي عرفته المنطقة الأولى بصفة عامة والناحية الرابعة بصفة خاصة إبان الثورة التحريرية.[١٥]

الناحية الرابعة كانت مسيرة من طرف: المزاري، فناحية تلمسان كانت تمتد من واد الزيتون إلى جسر يسر وأولاد الميمون وتيرني وبني هديل، فهيكلة هذه الناحية كانت بكيفية ذكية من طرف منظمة جبهة التحرير الوطني بتلمسان وضواحيها وذلك بإنشاء خلايا إجرائية، مكلفة بالعمليات العسكرية ضد المعمرين ومصالح الأمن والمعسكرات والعيون، وبعض المنشآت الاستراتيجية كما تم إحداث خلايا العمل السياسي والدعم و التضامن مع أسر ضحايا القمع، وعائلات المجاهدين وخلايا الاتصال والأخبار، وضمت عدد كبير من الشبان والشابات وعلى رأسهم ابن علي المدعو السي إبراهيم وتوجد ضمن هذه الخلايا المدعوة خيرة عزيز، والتي كانت تلعب دور هاما في المنطقة والسي إبراهيم الذي يعاشر المدرسين والثانويين، قد أمر باجتناب إلى أقصى حد بعض العناصر التي يشك فيها، بحكم علاقاتهم بالوسط الأوروبي أو الذين يعيشون في أوساط مشتبه فيها وغير قابلة للمعاشرة.[١٦]

أسست فرق أخرى من الفداء تحت قيادة إبراهيم والكوماندوس الأول، وتنظمت كل المدينة للكفاح ضد المستعمر لتحرير البلاد، فزعزع هذا النهوض بالروح الثورية عزيمة قوات القمع وأحبط معنوياتها، حتى تخالطت وتشابكت عليها الأمور ولم تعرف كيف تخلص منها. من بين الخلايا التي كانت تنشط على نطاق تلمسان، كانت تلك التي يقودها محمد مهتار ثاني المدعو: لزعر، كان من ذي قبل عضو بحزب الشعب الجزائري يبيع جريدة " الجزائر الحرة "، ولما كشفت عن هويته شرطة المخابرات العامة، ألقي عليه القبض عدة مرات وعذب قبل أن يطلق سراحه، دعي سنة ١٩٥٢م تحت الأعلام لمدة سنتين للخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي.[١٧]

منذ ١٩٥٥م، بعد نهاية الخدمة العسكرية أنضم دون تردد إلى صفوف الأفلان، فنظم أول خلية فدائية، ورصد له عدد من المحاور بالقنابل منها: رمي قنبلة يدوية ضد العساكر عند المتحف وكذا رمي قنبلة يدوية ضد دورية عسكرية، ورمي أخرى بحانة وسط المدينة، فسجن خلال تفتيش عقب العملية الفدائية الأخيرة، عذب حتى لفظ أنفاسه ورمي في بستان بعين فزة، وبعد أيام أخبر أهل القرية أمه (الحاجة عمارية) باستشهاده، وبالمكان الذي وري فيه مغلف بالحايك الذي وهبته إحدى نساء المنطقة.[١٨]

بعد استشهاده نشأت عن خليته فرق أخرى للفداء فأيقظت نشاطاتها فضول وتحذر الشرطة الفرنسية، أما يوم: ٢٧ أكتوبر ١٩٥٥، لم يمنع بن علي دغين من يد المخابرات العامة التي كانت تبحث لولا حيلة دبّرها أصدقاء حيه، فلما انتبه هؤلاء ومن بينهم سيد أحمد قوار المدعو حمّي إلى وجود شرطيين حول منزل الدغاغنة هرعوا إلى المدرسة حيث كان زميلهم يتابع دراسته، تقدم حمي إلى مدير المدرسة المدعو (janier) واستعمل خدعة، فقال له: أن والدة بن علي توفيت وأنه مدعو إلى المنزل فلما خرج من المدرسة حذّره أصدقائه من الخطر، فبهذه الخطة العجيبة أفلت من يد الشرطة والتحق بالسرية، وأخيرا ملتحقا بصفوف جيش التحرير الوطني، فذهب راجلا من تلمسان إلى بني سنوس حيث وصل ورجلاه تسيلان دماً من جراء هذه المسافة الطويلة فتوقف ليروي عطشه من إحدى الينابيع، فالتقى راع للغنم إلا أنّه في حقيقته عضو في الأفلان، فسأله أين يجد المجاهدين بغية الالتحاق والانضمام إليهم، فتحير الرّاعي من سحنته الأوربية ولباسه المتأنق، فظنّ أنّه جاسوس فرنسي وقاده إلى مجاهدي المنطقة كي يأخذوا قرار في حق مصيره.[١٩] وبعد ذلك وجد نفسه أمام المقدم جابر[٢٠] الذي بعد مكالمة طويلة، ضمّه ككاتب لديه لم تتجاوز شهرين وفي جانفي ١٩٥٦م أوكل إليه مهمة تأسيس كوماندوس بمدينة تلمسان، وقد أخذ اسمه السري "السي إبراهيم" وسنه لم يتجاوز الواحد والعشرين .[٢١]

أما مدينة تلمسان التي طوقت بكاملها من طرف الجيش الفرنسي، منذ مظاهرات السكان والعمليات الفدائية التي نفذت بعد إعدام الدكتور: ابن زرجب في جانفي ١٩٥٦م، أصبحت الحياة فيها لا تطاق وأصبح الدخول إليها صعبًا والتنقل من حي إلى آخر أكثر صعوبة، فلقد أصبحت الأحياء كلها ممتلئة بالأسلاك الشائكة والممرات المتعرّجة، وكان من اللازم التملق للتنقل من حي إلى آخر، وأن علي لحديم المدعو الماجور ببذلته الرسمية

وصاحب درجة في الجيش الفرنسي(رقيبًا أولاً) هو الذي كان بإمكانه أن يمرّ ويمرّر من يريد، فزادت العمليات الفدائية كثافة واستولى الخوف على السكان وأعوان الإدارة المحلية وكانوا أيضًا عرفوا عملية فريدة من نوعها في تاريخ حرب التحرير الوطني، كان من اللازم القيام بضربة كبرى للانتقام من اغتيال الدكتور ابن زرجب.[٢٢]

قد كان النظام الذي ارتكز عليه جيش التحرير الوطني في عمله، يحمل بذور نجاح الثورة المسلحة منذ اليوم الأول لاندلاعها، ومنذ ذلك الوقت تمّ التركيز على مبدأ أساسي وهو السرية المتناهية في التخطيط والتنفيذ التي أعطت الجيش الكثير من الهيبة، لأن قوات الاحتلال كانت تجهل إمكاناته وعدده، وكل ما يتعلق بنظامه وتحركاته، أما الشعب فقد زادت ثقته بقوة جيشه الذي كان يراه في أرض الميدان، يعمل بفعالية وانضباط تام وتضحية مستمرة، وهو مع ذلك لا يعلم الكثير عن عدده ومراكزه أو هياكله، وفق مبادئ سطّرها لنفسه كانت منطلقًا لمسيرته الطويلة الشاقة.[٢٣]

لمقابلة هذه الحالة اتخذ المسؤولون قرارًا، فبعث قيادة الولاية وعلى رأسها: بوصوف، بوزيدي وجابر تعليمة لجميع النّواحي والمناطق تأمرهم بفتح خط مجابهة ثان داخل المدن والقرى، وبالفعل فتح هذا الخط، سيما بعدما رست في يوم: ٢٩ أفريل ١٩٥٥م بساحل الريف المغربي السفينة "دينة"، وعلى متنها الأسلحة والعتاد، ووصلت هذه الشحنة الكبيرة في وقتها لتجهيز وحدات حربية من شأنها التصدي لبأس العدو، أما ذكر جميع العمليات الفدائية وعمليات جيش التحرير ضد قوى العدو الفرنسي، والتي جرت أحداثها بتلمسان وضواحيها فهذا من المستحيل، وعلى الأرجح فلا يكفي لتحريريها آلاف الصفحات.[٢٤] ويكفينا أن نستعرض ما استوقفته أرباب الأنامل من الضياع، ونخص بالذكر: العملية التي دبّرها أدغين بن علي المدعو: السي إبراهيم ثمّ السي لطفي، وأصبح من خلالها منظمًا كبيرًا ذا قدرة فائقة حسب مسؤوليه، كان قد إختار عددا من الشّبان ذوي المظهر الأوروبي البارز، ومن بينهم كان من سبق لهم تأديتهم للخدمة العسكرية ضمن الجيش الفرنسي.[٢٥]

في اليوم المحدد وبخطوات بطيئة موزونة معهودة لدى الشرطة العسكرية، طاف هذا الفوج الذي كان بن علي شخصيا بالمدينة مارًا بنهج سيدي بلعباس، والشارع الذي يحاذي ثكنة المشور ونهج فرنسا وساحة البلدية وعند مروره كان الجنود والضباط الفرنسيون يحيونه تحية عسكرية، وهو يمر دون مانع بالممرات الملتوية عبر المدينة إلى أن وصل أمام نادي الضباط وبالضبط في الجهة اليمنى لساحة الانتصارات، كانت الساعة تشير إلى ما بعد السادسة بقليل وهو الوقت المحدد للإفطار في ذلك الشهر؛ شهر رمضان، حيث كان المدنيون كلهم في منازلهم وفي الوقت الذي كان النادي مكتظًا وكان منهم من يتناول المشروبات، وآخرون يتعاطون الميسر أو البيار توقفت الدورية أمام الباب وبإشارة من لطفي أطلقت النيران من أسلحة الدورية كلها، وهبط رجال الدورية بسرعة في عمق ساحة الانتصارات نحو أزقة المدينة القديمة حيث كانت تنتظرهم ثلاث سيارات سوداء اللّون شبيهة بسيارة المستعمر الفرنسي.[٢٦]

من بين العمليات كذلك بتاريخ: ١٦ مارس ١٩٥٦ م محاولتان في حي الدعارة فبعد اغتيال خمسة عساكر في بوابة عامة رمى عناصر الكوماندوس قنبلتين يدويتين على القوات، التي أسرعت للدعم فقتل من بينهم ١٧ جندي فرنسي وجرح ١٢ آخرين.[٢٧] وتاريخ ٠٧ ماي ١٩٥٦: الدورية المفتعلة واغتيال ١٣ ضابط وجرح ٠٨ آخرين. قرية الفحول: اختطاف عدد من الجنود الفرنسيين، وتهريب ١٨ جندي جزائري مع أسلحتهم وعتادهم قاد هذه العملية العرباوي المدعو: نهرو.[٢٨]

أقيمت عمليات أخرى كثيرة تحت قيادة السّي إبراهيم كما وثقته نشرات الجرائد في تلك الفترة: محاولات بالقذائف اغتيالات، تخريبات من شتى الأنواع، كمائن كان على السي إبراهيم إلا أن يسلم مجموعة من الأسلحة المحصل عليها لمسؤوله المباشر، عقب الليل (مختار بوزيدي)[٢٩] ممثلاً للتعليمات الصادرة من عبد الحفيظ بوصوف والتي تجعل تلمسان تحت المسؤولية المطلقة لقيادة وجدة تجاوزت هذه التعليمات درجة عقب الليل، فمنعته من مداخل باهظة منبثقة من تلمسان وضواحيها فوجهت مباشرة نحو وجدة، تحت مسؤولية السي إبراهيم، أستشاط عقب الليل غضبًا حتى هاجم هذا الأخير وأمر جنديين بحضوره فأبى. ثمّ بسرعة ومتجنبًا المنطقة الأولى التحق بوجدة وقدّم عرضه لبوصوف، فقرر هذا الأخير راعيًا للتوافق وتجنبًا لشقاق في القيادة أن يعين السي إبراهيم (لطفي) في المنطقة الثامنة.[٣٠]

رابعًا: أهم معارك جيش التحرير الوطني بالناحية الرابعة

كانت منطقة تلمسان أيام الثورة التحريرية ضمن القسم الرابع للناحية الرابعة من المنطقة الأولى للولاية الخامسة ومن بين أهم المعارك التي دارت رحاها بالناحية:

١/٤-معركة جبل القادوس:

الذي يقع ضمن سلسلة جبل بلدية تيرني بني هديل، جنوب مدينة تلمسان يحدها من الشرق "بني غزلي" ومن الغرب جبل "الناظور"، الجبل في عمومه متوسط الارتفاع مغطى بالأشجار كما تتخلله أراضي زراعية منبسطة واعتبارًا لهذه المميزات، عمد الجيش التحرير منذ انطلاق الثورة إلى التمركز فيه وإقامة مراكز عبر أطرافه للانطلاق منها إلى الجهات المجاورة ومن أهم هذه المراكز مركز: "دار عبد القادر بن يوسف"[٣١] وحدة جيش التحرير الوطني، والتي قامت بهذه العملية كانت مشكلة من فوجين تعدادهم بين ٣٠/٢٢ مجاهدا، يتولى قيادتهم المجاهد: شواري بومدين، وبمساعدة المجاهد: "ميلود" المدعو "التونسي" أما بالنسبة للأسلحة فكانت بحوزة الفوجين قطعة جماعية من نوع: ٢٩/٢٤ وبنادق فردية آلية من أصناف مختلفة. من ناحية العدو فكانت وحداته مشكلة من القوات البرية، التي كانت تدعمها طائرات حربية ذات المهام المتعددة، وأرتال من المدرعات والعربات العسكرية، ثمّ تجميعها من المراكز العسكرية المنتشرة عبر المنطقة.[٣٢]

أسباب وقوع المعركة يعود للعمليات العسكرية للثوار عبر كامل الناحية، من بينها عملية قطع أسلاك الهاتف تخريب الطرقات، الهجمات المتكررة على مراكز العدو العسكرية بمنصورة والمركز المتواجد بمزرعة أحد المعمرين وبعد هذه العمليات تحركت قوة جيش التحرير الوطني جنوبا، وتمركزت بجبل القادوس للاستراحة وضبط أمورها ويبدوا أن العدو كان يرصد تحركات الثوار، ويستعد لمهاجمتهم بعد انتشار أخبار عملهم العسكري، عبر كامل المنطقة مما أثر سلبيا على معنويات جنوده وخاصة المعمرين الذين سلبوا الأراضي الفلاحية الخصبة وهذه الأسباب التي أدت إلى نشوب هذه المعركة.[٣٣]

تاريخ المعركة يعود إلى صباح يوم ١٩٥٦/١١/٢٤ فرصدت الحراسة تحركات للعدو في نقاط عدة من المناطق المحيطة بالمركز، تبين أن جيش الاحتلال يتوجه نحو الجبل من مسالك مختلفة، الأمر الذي يستدعي الحيطة وأخذ التدابير اللازمة قبل تطور الوضع ويصبح صعبا، فأسفرت المعركة عن خسائر في صفوف جيش التحرير، فاستشهد ١٤ مجاهدًا، أما صفوف العدو فأصيبت بخسائر هامة في صفوف جنوده تتمثل في عدد كبير من القتلى والجرحى، غير أن عدد الطلعات التي قامت بها الطائرات العمودية في اليوم الحوالي للمعركة، أكد على أن عدد القتلى كبير.[٣٤]

٢/٤-معركة سهب اللوزة: (وادي الشولي)[٣٥]

احتضنت منطقة واد الشولي الثورة التحريرية منذ اندلاعها، وكان أبنائها قد تشبعوا بالفكر الثوري عبر مراحل الحركة الوطنية، ودعاتها من حزب الشعب الجزائري، وتتميز هذه المنطقة بجبال حصينة ومسالك صعبة، وسهول منبسطة مع توفرها على كل الشروط الضرورية لحرب العصابات فلقد اتخذتها القيادة الثورية آنذاك قاعدة للمنطقة الخامسة، واعتبرها المجاهدون مركز عبور بين الشرق والغرب.[٣٦]

لقد وقعت المعركة في شهر نوفمبر من سنة ١٩٥٦ ودامت المواجهة من الساعة السابعة صباحًا حتى العاشرة ليلاً استعملت فيها مختلف الأسلحة (المدفعية والطيران) شاركت فيها فصيلتان من جيش التحرير الوطني، وكان على رأس فصيلة منهما الشهيد البطل" بن علال" الذي استشهد مع بقية رفاقه إلا سبعة جنود بقوا على قيد الحياة، بينما تكبد العدو الفرنسي خسائر بشرية ومادية قدرت بـ: (٤٨٠) قتيلاً، حسب إحصائيات العدو نفسه.[٣٧] سميت منطقة "وادي الشولي" اسم "عروس المناطق" عاش فيها أبطال كثيرون منهم العربي بن مهدي، هواري بومدين، عبد الحفيظ بوصوف، وأحمد لواج، المدعو: الرائد فراج، وعبد القوي، وغيرهم من الشهداء والمجاهدين الذين لا يزالون على قيد الحياة.[٣٨]

٣/٤-معركة جبل "نوفي" الأولى "عين غرابة" ١٩٥٦

بعد عملية " تيزغنيت" التي قم بها "سي صالح" قريش قدور مع فصيلته، وعملية "سهب اللوزة" التي قادها "سي نجيب" عمراوي عبد القادر، بأمر من الراحل "هواري بومدين" واللتين كانتا ناجحتين حيث غنم المجاهدون فيها أسلحة وعتاد حربيا، كما أسروا بعض الجنود الفرنسيين، وبعدها عادت الفرقتين إلى المكان المسمى "بوفايلة" أين كان متواجد هواري بومين رفقة "عبد المومن" لواج محمد (الرائد فراج) فيما بعد، وفصيلة "بن علال" قريش قويدر.[٣٩] وبعد الاستراحة وتناول العشاء خطب فيهم "هواري بومدين" الذي كان يعرف آنذاك بالمراقب حيث طلب من المجاهدين عدم الصوم غدا، اليوم الثالث من شهر رمضان، لأنه سيكون عليهم التوجه إلى جبل "نوفي" المواجه لعين غرابة من الجهة الجنوبية الغربية، ولأن الاستعمار سيلاحقهم حتما نتيجة الخسائر التي لحقت به جراء العمليتين السالفتين الذكر.[٤٠]

عند الساعة الثانية صباحًا برواية قريش قدور: خرجنا من الدار نحو جبل "نوفي" الأشم المغطى بأشجار "البلوط" و"الطاقة" الكثيفة، نوفي هو أعظم وأعلى جبل في بني هديل،

حيث يمتد من بني سنوس غربًا إلى مدينة سبدو شرقًا، فجبال أولاد نهار جنوبًا ووادي تافنة شمالاً حيث تمتد على ضفته قرية بوفايلة التي خرجنا منها. لما لاح الفجر وبزغت الشمس من فوق قمم الجبال رأينا مشهدا لم تكن تعرفه قرية بني هديل من قبل، كل الجبال التي تحيط بها كانت مغطاة بالجنود الفرنسيين، من "تزاريفت شمالاً إلى "تيزغنيت" غربا حتى سبدو "قمرشيش" جنوبًا، صاعدًا جبل نوفي، الذي نحن فيه ثمّ جاءت الطائرات BΓ٦ الأمريكية، وبدأت تمثل قرية "ورانة" وأحرقت الأكواخ والخيام وشردت السكان من أطفال ونساء ورجال، وبعد طائرات B26 جاءت الطائرات العمودية، التي كانت تحمل الجنود من تلمسان وسبدو والمعسكرات الأخرى المجاورة، وتنزلهم على قمم الجبال حتى يلتحقوا بالجنود الذين سبقوهم ويعززوا قوتهم ثمّ تدفقوا على الدوار فجمعوا سكانه، فقبضوا على الرجال وعذبوهم قبل أن يقتلوا منهم ١٢ فرد من بني هديل واثنين جاءوا من قرية أخرى.[٤١]

نحن ما زلنا في جبل "نوفي" ننظر من أعلاه إلى المآسي التي يتعرض لها الشعب، فكل القرية تغطت بالجيش والشاحنات والدبابات، وطائرات العدو، فأصبحت هذه الجهة كلها نار ودخان فلولا فكرة بومدين لهلكنا جميعًا وتكون أكبر كارثة على الثورة في هذه الجهة. لآن كافة المجاهدين كانوا حاضرين هناك، ونحن هكذا ننظر إلى ما يقوم به الجنود الفرنسيون في أوساط المواطنين العزل، وإذا بأحد الحراس يجري نحونا ليخبرنا عن قدوم الخيالة، السبايس من ناحية العزايل في اتجاهنا، وبسرعة افترقت الفصائل الثلاثة: فصيلة بن علال إلى الشرق وفصيلتي صالح إلى الشمال، ونجيب[٤٢] إلى الجنوب تركناهم يتغلغلون في وسطنا، وذلك للتمكن منهم والقضاء عليهم جميعا، هم هكذا يمشون بدون دراية بما يحاط بهم، يتجبرون ببرانسهم الحمراء وخيولهم السمينة، وإذا بقائدهم الفرنسي، يقف بغتة، و يشير إلى الأرض" أنظروا إنها جزة الفلاقة فلم يكد ينتهي من كلامه، وإذا بأحد الجنود يصيبه للقلب، فيصبح جثة خامدة.[٤٣]

كل الخيالة أرادوا أن يرجعوا إلى الوراء، لكنهم لم يقدروا على ذلك سبيلاً، لأننا كنا قد غلقنا حولهم الدائرة، كل الاتجاهات التي سلكوها تلقيناهم منها بالرصاص، فما كان عليهم إلا أن يسلموا أنفسهم ثمّ القبض على(٣٦) من المجموعة التي كانت تتكون من(٧٥) رجلاً والباقي فقد لقو حذفهم ولم يتمكن من الهروب إلا قليل منهم. غنمنا خلال هذه المعركة المفروضة علينا، كمية من الأسلحة منها ٣٠ بندقية أمريكية "كرابين"، ٠٢ رشاشات فرنسية ومسدسين وكذلك جهازين للإرسال أما الخيول فبقت تائهة بين الجبال وعددها ٧٥ حصانا.[٤٤] في حرب التحرير، كذلك إنّ الفرد التلمساني الذي تطوع قلبًا وقالبًا للكفاح في هذه الأخيرة، لم يتورط أبدًا في التعاون مع العدو، ولم ينخرط في صفوف الحركي إلا قلة قليلة ما إن تظهر هذه الفئة يتم إخمادها، ولقد مكّنها موقعها الجغرافي بالقيام بدور حاسم في هذه المرحلة، وشبانها جميعهم، بما فيهم غير المسيّسين قد لبّوا النداء. فقد قدموا النفس والنفيس، من أجل نيل الحرية والاستقلال والعيش في جزائر العزة والكرامة.

خَاتِمَةٌ

لقد استغل قادة جبهة وجيش التحرير الوطنيين المعطيات الجغرافية والبشرية لرقعة الغرب الجزائري في تنظيمها للكفاح المسلح، فركزت الجبهة على تنظيمها للمواقع الاستراتيجية بمنطقة تلمسان من الولاية الخامسة واتخذت من غاباتها الكثيفة معاقل لجيشها. يمكننا القول إن جلّ المؤرخين حول المنطقة حاولوا أن يقدموا عملاً جليلاً، يكون في مستوى ثورة شعبهم العظيمة، إلا الواقع يظهره أن ما قدمه كان دون مستوى عظمة الثورة، ومهما كان المستوى الذي بلغه هذا التدوين فإنه قد خلص إلى ما يلي:

- الكشف عن صمود الشعب الجزائري في وجه القوة الاستعمارية بصورة رائعة تدعوا إلى الاعتزاز والافتخار.
- أنهم كشفوا عن صورة رائعة لبطولات المجاهدين والفدائيين والمسبلين وكذا أهالي منطقة تلمسان.
- فضح الأساليب القمعية الجهنمية التي استعملها جنود المستعمر في تعذيب المجاهدين وكل من له علاقة بالثورة.
- الكشف كذلك عن مخططات المستعمر، والتي حاول من خلالها إبعاد الشعب الجزائري عن ثورته والمتمثل في ادعائه بأن الثوار هم لصوص وقطاع طرق خارجون عن القانون.
- أنهم كشفوا عما كان يتعرض له الشعب الجزائري من قمع وإبادة وإذلال وإهانة، في السجون وفي القرى والمدن والمحتشدات.

تُعَدّ شهاداتهم أيضًا وثيقة صادقة، ومصدرًا لكتابة تاريخ الثورة، كما تعد أداة للتصوير، تصور لنا جانبا من المعارك الحامية الوطيس، والتاريخ يبقى الشاهد الأكبر على شدة مقاومة أهالي المنطقة.

الهَوامِشُ:

(١) عبد القادر بلوفة، **دور المرأة الجزائرية في الحركة الوطنية**، جامعة وهران: مخبر تاريخ الجزائر وإفريقيا، جوان، ١٩٨٩، ص١٠٤.

(٢) عبد الغاني عبد الله يسري، **هل يمكن فلسفة التاريخ**، مصر: دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، العدد:٠٤، ٢٠٠٩. ص ٥٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٧.

(٤) أحمد الشقيري، **قصة الثورة الجزائرية**، مدرسة توت شامي التعليمية، لبنان: دار العودة، (د.ت) ص٠٥. الموقع الإلكتروني: www.tootshamy.com

(٥) خالد بلعربي، **تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، الجزائر: دار الالمعية للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠١٠، ص١٠١.

(٦) عبد المجيد بوجلة، **الثورة التحريرية في الولاية الخامسة التاريخية**، (مخطوط) رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة تلمسان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨/٢٠٠٧، ص٨٥.

(٧) المرجع نفسه، ص٨٦.

(٨) المرجع نفسه، ص٨٦.

(٩) الهواري: عبدون المختار من قرية أولاد موسى بناحية بني سنوس، المنطقة الأولى (تلمسان).

(١٠) محمد لمقامي، **رجال الخفاء، مذكرات ضابط في وزارة التسليح والاتصالات العامة**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ٢٠٠٥. ص ١٤٧.

(١١) عبد المجيد بوجلة، المرجع السابق، ص١٦٥.

(١٢) المرجع نفسه، ص١٦٥.

(١٣) فيصل الدراج، **الرواية وتأويل التاريخ**، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٤، ص ٨١.

(١٤) سليمة عذراوي، **الرواية والتاريخ _ دراسة في العلاقات النصية، رواية العلامة لبن سالم حميش نموذجًا ماجستير في الآدب العربي** (مخطوط) جامعة الجزائر، ٢٠٠٦/٢٠٠٥، ص ١١.

(١٥) محمد العربي زبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر (١٩٦٢/١٩٠٤)**، ج:٢، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩، ص ٠٩.

(١٦) خالد بلعربي، المرجع السابق، ص١٠١.

(١٧) محمد لمقامي، المرجع السابق، ص١٣٢.

(١٨) بلحسن بالي، **ملحمة شبيبة منهكة (سنوات الجحيم ١٩٠٠/١٩٥٩)**، ترجمة: عبد الرحيم منصور، الجزائر ٢٠١٠، ص ٢٢.

(١٩) بلحسن بالي، المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٢٠) **مطعيش**: مطعيش عبد القادر، المدعو: سي جابر أو الرائد جابر، شهيد، من قرية أولاد موسى، ويُعَدّ عضوًا قديمًا في المنطقة الخاصة، وهو أحد الأعضاء البارزين لمرحلة التحضير في الخفاء لاندلاع الثورة.

(٢١) المرجع السابق، ص٢٤.

(٢٢) محمد لمقامي، المرجع السابق، ص١٣٢/١٣٣.

(٢٣) أمال شلبي، **التنظيم العسكري في الثورة التحريرية (١٩٦٢/١٩٥٤)**، (مخطوط)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة باتنة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٦/٢٠٠٥، ص ٠٦.

(٢٤) بلحسن بالي، المرجع السابق، ص ١٧/١٦.

(٢٥) محمد لمقامي، المرجع السابق، ص١٣٣.

(٢٦) المرجع نفسه، ص١٣٣/١٣٤.

(٢٧) بلحسن بالي، المرجع السابق، ص ١٣٣/١٣٤.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٢٩) **عقب الليل**: واسمه الحقيقي محمد بوزيدي، المدعو مختار، مناضل قديم من منطقة صبرة (تلمسان) وقائد الناحية الخامسة، أعدم من قبل محكمة الثورة بتاريخ: ١٧ سبتمبر ١٩٥٦م، بوجدة المغربية.

(٣٠) المرجع السابق، ص ٢٧/٢٦.

(٣١) المتحف الجهوي للمجاهد (تلمسان)، الجزائر: مجلة تضحيات الولاية التاريخية الخامسة، العدد:٠١، ٢٠١٤، ص ٣٥.

(٣٢) المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٣٣) المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٣٤) المرجع نفسه، ص ٣٦، انظر: **من معارك المجد في أرض الجزائر**، المنظمة الوطنية للمجاهدين (٦١/٥٥) منشورات مجلة أول نوفمبر الجزائر: دار هومه، ، (د ت) ، ص٨٥.

(٣٥) **وادي الشولي**، تقع منطقة وادي الشولي شمال شرق مدينة تلمسان، على بعد ٢٠ كيلومتر، تحديدا بين بلديتي عين فزة وأولاد ميمون.

(٣٦) غوثي شقرون، **الأغنية البدوية الثورية بين فترتي الثورة والاستقلال(١٩٥٤_١٩٦٢) منطقة واد الشولي نموذجًا** جمع ودراسة (مخطوط)، رسالة ماجستير في الأدب الشعبي، جامعة تلمسان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ١٧٣.

(٣٧) المرجع نفسه، ص ١٧٥.

(٣٨) المرجع نفسه، ص ١٧٦.

(٣٩) **بن علال**، واسمه الحقيقي قريش عبد القادر، من مواليد سنة ١٩٢٨م، بضواحي عين غرابة ولاية تلمسان.

(٤٠) مجلة تضحيات الولاية التاريخية الخامسة، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤١) المرجع نفسه، ص ٣٠.

(٤٢) نجيب، شهيد من منطقة سبدو بولاية تلمسان.

(٤٣) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤٤) المرجع نفسه، ص ٣١.